روي عن ابن عباس أنه قال (كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها يقول كفار قريش : وا ما محمد إلا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه) اه .

التبديل من فالمراد . الآية هذه معنى حاصل في المفسرون قاله ما أحسن الكلمة وهذه A E في قوله تعالى (بدلنا) مطلق التغاير بين الأغراض والمقامات أو التغاير في المعاني واختلافها باختلاف المقاصد والمقامات مع وضوح الجمع بين محاملها .

والمراد بالآية الكلام التام من القرآن وليس المراد علامة صدق الرسول A أعني المعجزة بقرينة قوله تعالى (وا أعلم بما ينزل) .

فيشمل التبديل نسخ الأحكام مثل نسخ قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) بقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) . وهذا قليل في القرآن الذي يقرأ على المشركين لأن نسخ الأحكام إنما كثر بعد الهجرة حين تكونت الجامعة الإسلامية . وأما نسخ التلاوة فلم يرد من الآثار ما يقتضي وقوعه في مكة فمن فسر به الآية كما نقل عن مجاهد فهو مشكل .

ويشمل التعارض بالعموم والخصوص ونحو ذلك من التعارض الذي يحمل بعضه على بعض فيفسر بعضه ويؤول بعضه بعضا كقوله تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) في سورة الشورى مع قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) في سورة المؤمن فيأخذون بعموم (ويستغفرون لمن في الأرض) فيجعلونه مكذبا لخصوص (ويستغفرون للذين آمنوا) فيزعمونه إعراضا عن أحد الأمرين إلى الأخير منهما .

وكذلك قوله تعالى (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) يأخذون من ظاهره أنه أمر بمتاركتهم فإذا جاءت آيات بعد ذلك لدعوتهم وتهديدهم زعموا أنه انتقض كلامه وبدا له ما لم يكن يبدو له من قبل .

وكذلك قوله تعالى (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) مع آيات وصف عذاب المشركين وثواب المؤمنين) .

وكذلك قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) مع قوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) .

ومن هذا ما يبدو من . تخالف بادئ الأمر كقوله بعد ذكر خلق الأرض (ثم استوى إلى السماء

) في سورة فصلت مع قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) من سورة النازعات فيحسبونه تناقضا مع الغفلة عن محمل (بعد ذلك) من جعل (بعد) بمعنى (مع) وهو استعمال كثير فهم يتوهمون التناقض مع جهلهم أو تجاهلهم بالوحدات الثمانية المقررة في المنطق .

فالتبديل في قوله تعالى (بدلنا) هو التعويض ببدل أي عوض والتعويض لا يقتضي إبطال المعوض " بفتح الواو " بل يقتضي أن يجعل شئ عوضا عن شئ . وقد يبدو للسامع أن مثل لفظ المعوض " بفتح الواو " جعل عوضا عن مثل لفظ العوض " بالكسر " في آيات مختلفة باختلاف الأغراض من تبشير وإنذار أو ترغيب وترهيب أو إجمال وبيان فيجعله الطاعنون اضطرابا لأن مثله قد كان بدل ولا يتاملون في اختلاف الأغراض . وقد تقدم شيء من هذا المعنى عند قوله تعالى (ائت بقرآن غير هذا أو بدله) في سورة يونس .

و (مكان آية) منصوب على الظرفية المكانية : بأن تأتي آية في الدعوة والخطاب في مكان آية أخرى أتت في مثل تلك الدعوة فالمكان هنا مكان مجازي وهو حالة الكلام والخطاب كما يسمى ذلك مقاما فيقال : هذا مقام الغضب فلا تأت فيه بالمزح . وليس المراد مكانها من ألواح المصحف ولا بإبدالها محوها منه .

وجملة (وا أعلم بما ينزل) معترضة بين شرط (إذا) وجوابها . والمقصود منها تعليم المسلمين لا الرد على المشركين لأنهم لو علموا أن ا هو المنزل للقرآن لارتفع البهتان . والمعنى : أنه أعلم بما ينزل من آية بدل آية فهو أعلم بمكان الأولى ومكان الثانية ومحمل كلتيهما وكل عنده بمقدار وعلى اعتبار .

وقرأ الجمهور (بما ينزل) " بفتح النون وتشديد الزاي " . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو " بسكون النون وتخفيف الزاي "